

٤ - الحركة النهلستية ومصرع القيصر اسكندر الثاني

مقدمة رابعة من صفح الثورة على الطغيان

للأستاذ محمد عبد الله عنان

خاتمة البحث



وكانت مرافعة جليابوف عن نفسه خاتمة الناظر العاصفة في تلك القضية الشهيرة . وكان هذا الزعيم الثوري المضطرب حسبما صفه مكاتب التيمس ، يمدح قضائه بنظرات ملهية كأنها نظرات حش يُطارَد ، وكانت ألفاظه وعباراته الرنانة تحدث أثرها في لمحكة والنظارة ؛ وكلما نجت الجلسة أُلتي على الجمهور نظره الملتهبة حتى يعود إلى سكينة . ولما انتهى من مرافعته ، أذنت المحكمة ستمين تباعاً بأن يقول كل منهم كلمته الأخيرة . ففكر كباتشس أقواله عن ثبات حزبه السلبية ، وأنهم لم يسفكوا الدم بية في السيفك ، ونوه بأنه قد اخترع جهازاً للطيران يرجو أن سب له بمد موته إذا أخرج إلى حيز التطبيق . ونفت سوفيا ؛ نفسها ما أتهمها به النائب من القسوة وفساد الخلق واحتقار أي العام . وحاول ريسا كوف أن يكرر نظرياته السياسية ؛ صر ميخايلوف على نفي اشتراكه في الجريمة

وبذا اختتمت المرافعات في هذه القضية الشهيرة ولم تستغرق الواقع سوى ثلاثة أيام . وفي صباح يوم ٢٩ مارس أصدرت محكمة حكمها وهو يقضي بإعدام التهمين الستة شنقاً . فاستقبلهمون مصيرهم في سكينه وثبات . وهل كانوا يتوقمون مصيراً نر ؟ إن الحكم بالإعدام كان قاعدة مقررة في جميع الجرائم ياسية التي جرت في الفترة الأخيرة ، ولم يفلت من هذا المصير وع سوي قلائل من الثوريين الذين اشتروا حياتهم بالاندماج سلك البوليس السياسي ؛ ولم يظن أحد من الستة المحكوم بهم في الحكم بطريق النقص ، ولكن ريسا كوف وميخايلوف

رفعا طلباً بالعمو لم تر المحكمة أن تراجع التيمس في شأنه ؛ وحاول ريسا كوف ليلة التنفيذ أن يلجأ إلى الخطوة الأخيرة ففرض أن يندمج في البوليس السياسي وأن يقتدى حياته بالعمل على مقاومة الارهاب والرهين ، وأفضى بأبوابه وبيانات جديدة عن الثوريين ونظم الحركة الثورية ، فلم يقبل طلبه وخاب مساه

وقدمت جيسا هلفمان إلى المحكمة بلاغاً قالت فيه إنها حامل لأربعة أشهر ، وطلبت إرجاء التنفيذ حتى تضع حملها ؛ فانتدبت لفحصها لجنة طبية أيدت دعواها ، فقررت المحكمة أن ترجى التنفيذ حتى تضع حملها ويمضى على وضعها أربعون يوماً

وكان التنفيذ في اليوم الثالث من إبريل سنة ١٨٨١ فني نحو الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم حمل التهمون الخمسة على عربتين عاليتين إلى ميدان سيمونفسكي حيث نصبت المشنقة وكانت والدة سوفيا قد سعت إلى رؤيتها فلم توفق إلى ذلك إلا عند خروج الموكب من السجن . وكان التهمون قد ألبسوا أردية سوداء ، وأوثق كل منهم في مكانه في العربة ، وظهره إلى الخليل وقد وضعت على صدره لوحة كتب عليها بحروف بيضاء ظاهرة : « قاتل الملك » وكان يتبع المحكوم عليهم عربة بها خمسة قسس ؛ وكان الموكب رهياً يحف به حرس قوى من الفرسان والمشاة ، وقد اصطف الجند على طول الطريق من السجن حتى ميدان التنفيذ . وكان الميدان غاماً بمشترات الألوف من النظارة إذ كان تنفيذ الاعدام يجري في ذلك العصر بطريقة علنية ؛ وكان الشعب يهرع دائماً إلى رؤية هذه الناظر المؤسية . وفي نحو الساعة التاسعة وصل موكب المحكوم عليهم إلى ساحة التنفيذ فأنزلوا من العربات وتلا عليهم سكرتير مجلس الشيوخ الحكم ؛ ثم قرعت الطبول إيذاناً بالاجراءات الأخيرة ، فكشف النظارة رؤوسهم وتقدم القسس من المحكوم عليهم وفي يدهم الصلبان قبلوها . وأبدى المحكوم عليهم في تلك اللحظات الرهية ثباتاً يثير الإعجاب والخشوع إلا ريسا كوف فإنه كان مضطرباً بمتنع اللون ؛ وبعد إجراء المراسيم الدينية قبّل كل صاحبه وودعه الوداع الأخير

اسكندر الثاني ومصرع قاتليه . ولكن القيصرية ضاعفت أهبتها ووسائلها لقمع الارهاب . ومع أن المرهين استطاعوا أن يزلوا بالقيصرية وأعوانها عدة ضربات دموية أخرى وأن يدبروا اعتداءين جديدين على حياة القيصر ، فإن القيصرية استطاعت بوسائلها التدريبية أن تمزق شمل الحركة الثورية ؛ وركدت ربح الهلستية في أواخر القرن الماضي بمد أن هلكت زهرة دعائها وأنصارها ؛ ثم استعادت شيئاً من نشاطها في أوائل هذا القرن ، ولكن القيصرية استطاعت من جانبها أن تجتنب العاصفة بتحقيق بعض الاصلاحات الدستورية المنشودة ، وإصدار الدستور الروسي الجديد سنة ١٩٠٦ . على أن المثل الثورية التي بثتها الهلستية في روسيا الجديدة لم تخمد جذوتها بل لبثت على اضطرابها حتى مهدت الحرب الكبرى أخيراً لانفجارها الرائع في سنة ١٩١٧ . وعندئذ لم تقف العاصفة عند سحق القيصرية وكل نظمها القديمة ، بل دكت نظم المجتمع الروسي القديم كله وقامت البلشفية على انقاضه تطمح إلى اضرام نار الثورة المالية وتحقيق مثل ماركس ولينين كانت الهلستية حركة فريدة بين الحركات التحريرية . وكانت وسائلها العنيفة من طراز لم يهد التاريخ كثيراً من أمثاله ؛ ذلك أنها جمعت من الثورية ديناً تدين به الشيبة المستنيرة ، يثبت إلى أعمق عقولها وأرواحها ، وجعلت من الحرية هيكلًا مقدساً تنفاني هذه الشيبة في الحج إليه ، وتسقط في سبيله صرعى لا تلوى على شيء إلا أن تموت في سبيل العقيدة الجديدة ؛ وقد كانت نخبايا الهلستية عظيمة فادحة . ومن الصعب أن تقدم عن هذه الضحايا ياناً شافياً لأن الأساليب الممجيبة والرسائل السرية التي كانت تبثها القيصرية في مقاومة الحركة كانت تحصد المئات والألوف في خفاء وصمت ؛ يهلكون أوفوا في أعماق السجون أو في معسكرات الاعتقال النائية في أعماق سيبيريا ، هذا عدا من حصدهم المشائق وهم وحدهم أوف ؛ وليس من البالغة أن تقول إن المناظر الدموية التي يقدمها إلينا كفاح الهلستية ، تفوق في روعتها مناظر عصر الاوهاب ابان الثورة الفرنسية ؛ ذلك أن الثورة الفرنسية كانت بالرغم من اضطرابها وعنقها قصيرة الأجل محدودة

وقبل الساعة العاشرة بقليل تقدم الجلاد فرولوف بثوبه الأحمر إلى فرائسه يحيط به معاوتوه وألبس المحكوم عليهم الأكفان والقلنسوات . وبدى التنفيذ باعدام كباتشش ثم تلاه ميخاييلوف فسوفيا جليبايوف فريساكوف ؛ وحدث حين إعدام ميخاييلوف أن قطع حبله وسقط على النطع ثلاث مرات قبل أن يزهق ، فثار الجمهور لهذا النظر المروع ، وعلت غمغمة السخط والروع . ولكن الجلاد أتم مهمته بهدوء ولم يحدث حادث . وكان هذا آخر إعدام علني في روسيا القيصرية . وكان له في الرأي العام أيما أثر . ووجه كاتب روسيا الأكبر يومئذ الكونت ليون تولستوي إلى القيصر اسكندر الثالث خطاب احتجاج على هذه الفظائع المثيرة

وأما جيسا هلفمان فكان لها قصة ألمية أخرى ، ذلك أن حزب إرادة الشعب لجأ إلى الرأي العام الخارجي ليحاول إقناده هذه الفتاة المنكودة من برائن الموت ، وأذاع شاعر فرنسا وكاتبها الأكبر يومئذ فكتور هوجو في الصحف الفرنسية خطاباً مفتوحاً إلى القيصر يتاشده فيه الرأفة بالأم الفتاة ؛ ورددت صحافات القارة هذا النداء . وفي الثالث من يولييه سنة ١٨٨١ عدلت عقوبة الاعدام إلى الأشغال الشاقة المؤبدة . وفي شهر سبتمبر نقلت جيسا إلى مستشفى السجن ووضعت طفلة لم يعرف مصيرها . وتوفيت الأم بعد ذلك بأشهر قلائل في فبراير سنة ١٨٨٢ من جراح أسبتها وقت الوضع وقيل إنها أحدثت فيها عمداً

هذه صفحة مؤسبة مرهوعة معاً من صحف الثورة على الطنيان ، وقد كانت الهلستية بلاربيب من أعظم الحركات التحريرية العنيفة التي عرفها التاريخ ، وكانت من أحفلها بمواطن النضال الدموية وكانت القيصرية من جانبها من أشد النظم الطاغية إيماناً في القسوة والنف وإخماد النزعات الحرة . وكان هذا النضال الذي يحنضب أرض روسيا بدماء الفريقين ، ويدفع بآلاف من الشباب المستنير إلى ظلمات السجن والنفي مسألة حياة أو موت للقيصرية ولروسيا الجديدة معاً ؛ وقد سار هذا النضال حيناً بعد مصرع

في تاريخ الأدب المصري

ابن الصيرفي

أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الصيرفي

مات بعد سنة ٥٤٢

للأستاذ محمد كرد علي

كان ابن الصيرفي من كتاب الدولة الفاطمية ، ومن عطاء النشئين والمؤلفين من المصريين في عهده ؛ جزل حظه من البلاغة والشعر والخط الجليل ، وأخذ صناعة الترسل عن ساعد بن مفرج صاحب ديوان الجيش ، ثم انتقل منه إلى ديوان الانشاء وبه الحسين الزبدي ثم تفرد بالديوان . ولابن الصيرفي تصانيف تجمله فوق أقدار رؤساء الدواوين وكتاب الملوك والسلاطين ، ومنها في الأدب والتاريخ والترسل كتاب « عمدة المحامدة » و « عقائل الفضائل » و « استنزال الرحمة » و « منافع القرائح » و « رد الظالم » و « لمح الملح » ومنها « الاشارة إلى من نال الوزارة » و « قانون ديوان الرسائل » وهذان الكتابان مطبوعان . وله غير ذلك من التصانيف منها اختيارات كثيرة لدواوين الشعراء كديوان ابن السراج وأبي العلاء المعري وغيرهما . وله شعر جيد لكنه اشتهر بالكتابة . وقد ضمن كتابه الاشارة إلى من نال الوزارة ذكر من تقدم من سفراء الدولة ووزرائها وسلاطينها ، ولم ير أن يتوسع في إشباع الموضوع قائلاً : « إذا كان الاستقصاء لا يليق بكل تصنيف لاسيما إذا خصم به سلطان يتفق أوقاته في تدير دولة وإقامة سنة واستضافة مملكة ، وإذا بقيت من زمانه فضلة استعجل بها جزءاً من الراحة ، يستعين به على ما يستأنفه من مهماته » بدأه بترجمة الوزير ابن كلس الأمري وإليه أهدى كتابه . وفي هذا الكتاب مثال واضح من سوء إدارة الفاطميين أخريات أيامهم ، وما توسموا فيه من الألقاب ، وما أوغلوا فيه من المصادر ، وما كان لهم وعليهم . وكان من لوازم الدعاء الذي يستعمله ابن الصيرفي في كل سجل ورسالة وتقليد وكتاب ، بل يستعمله الامباغيلية الفاطميون عامة أن يقال بعد الصلاة على النبي

الذي ، وكانت آثارها المعنوية تفوق أحداثها المادية بكثير . أما الثورة النهلستية فقد استطالت نحو أربعين عاماً ؛ تضطرم آنا وتجنو آنا ، ولكنها لبثت دأعماً تلهم فرائسها من الجانيين . هذا إلى أن نزع الكفاح في الحركة الثورية الروسية كانت أعرق أصولاً وأبعد مدى . وبينما نرى الثورة الفرنسية تستلم بسد أعوام قلائل إلى الحركة العسكرية الرجمية وتندو أداة ذلولا في يد جندي طموح هونابليون ، إذا بالحركة الثورية الروسية تمضي في طريقها برغم كل مقاومة حتى تفوز بتحقيق كل مثلها وغاياتها . بيد أنه كانت ظفراً سلبيا فقط ، وكان ظفراً قصير المدى ؛ فقد مهدت الحركة النهلستية كما قدمنا إلى الانقلاب العظيم الذي درج زعماءه وقادته في عمارها وتعدت عقولهم بأرواحهم بتماثلها ومثلها ، وكان ظفر الثورة البلشفية كاملاً شاملاً ، ولكن شتان بين تلك المثل الحرة الاصلاحية التي نشدها النهلستية ، وبين ذلك الهدم الشامل الذي أمحدرت اليه له الثورة البلشفية . أجل سقطت القيصرية صرعى المثل الجديدة أعلنت سيادة الشعب أو الكتلة العامة في عبارات ضخمة ، نودى بالحريات والحقوق العامة ، واستطاعت الثورة الجديدة أن تحتفظ بانتصارها الظاهر مدى حين كان شعارها فيه مكافحة الخطر لخارجي ؛ ولكنها ما كادت تثبت أقدامها حتى استحالت بسرعة لي نوع جديد من الطغيان لا يقل في أساليبه ووسائله فظاعة من أساليب القيصرية ووسائلها ؛ ولم تثبت أن غدت سيادة شعب اسماً بلا مسمى ؛ واستطاعت الزعامة الجديدة أن تفرض سلطانها المطلق على ذلك العالم الروسي القديم الذي كان يطمح إلى الم جديد من النور والحريات المثلى ؛ وانتهت الثورة التحريرية مد كفاح طويل إلى تلك النتيجة المخزنة التي أشرنا إليها في فاتحة هذا البحث . ذلك أن النظم التي تسود روسيا الآن باسم البلشفية ست في الواقع إلا صورة من أشنع صور الطغيان الدموي التي نرفها التاريخ^(١)

محمد عمير الله عنانه

(تم البحث - النقل منوع)

(١) رجعتنا في كتابة هذا البحث إلى تاريخ روسيا لرامير (بالفرنسية) إلى دائرة المعارف الفرنسية وكتاب Soukhomline عن القضايا الشهيرة روسيا (بالفرنسية) وإلى كتابنا « تاريخ الجمعيات السرية »